افغانستان وامیرها

افغانستان امارة واقعة بين الدرجة ٢٩ والدرجة ٣٨ من العرض الشمالي و٦١ و٧٢ من الطول الشرقي ويحدّها من الشمال املاك روسيا ومن الشرق الهند ومن الجنوب بلوخستان ومن الغرب ايران . ومساحتها نحو ٢٥٠ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو ستة ملايين

وقد فتح الفاتحون افغانستان من تتر وفرس ففتحها تيمور كلها واضاف السلطان بابر قندهار اليها في اوائل القرن السادس عشر . وبقيت في ايدي سلاطين المغول مدة قرنين من الزمان الى ان حدثت حرب الافغان الكبرى سنة ١٨٨٠ فاستولى الانكليز على كابول عاصمتها وعلى قندهار بقيادة اللورد روبرتس وعرضوا منصب الامارة على الامير عبد الرحمن فقبلهُ وجلت الجنود الانكليزية عنها على ان تتولى انكلترا شؤونها الخارجية ولا تتعرض لشؤونها الداخلية بشيء

وبعد وفاة الامير عبد الرحمن سنة ١٩٠١ خلفهُ ابنهُ الامير حبيب الله خان وما زال اميراً عليها حتى قتل في اواخر فبراير الماضي كما نقل البرق . وكان الامير عبد الرحمن يلقب « ضياء الملة والدين » اما الامير حبيب الله فلقب نفسهُ « سراج الملة والدين »

وقد نعاهُ مكاتب المقطم من لندن وقال انهُ لقي حتفهُ برصاصة اطلقها عليهِ جانٍ في معسكرهِ فاصابت منهُ مقتلاً وتوفي وهو في السابعة والاربعين من عمرهِ والثامنة عشرة من حكمهِ . ويقول المكاتب ان الباعث على ارتكاب الجناية مجهول وان التفاصيل معدومة ولكن القتل ثابت والوفاة محققة

ولا يبعد ان يكون للباعث على القتل علاقة بما هو حادث الآن في كابول من المساعي والتدابير لانشاء تحالف جديد في قلب آسيا بين امير افغانستان وامير بخارى الذي يستطيع التخلص من نفوذ روسيا في بلادهِ وسائر الخانات في قلب آسيا كما يحتمل ان يكون القاتل من رجال قبائل الافريدي التي ما برحت تقاتل الافغان . هذا اذا لم يكن من البلشفيك وغايتهُ بث دعوتهِ في تلك الاصقاع النائية متوسلاً الى ذلك برسائل البلشفيك المعروفة

ومع ان حبيب الله لم يبلغ شأو والدهِ في الدهاء والمقدرة السياسية والبراعة

العسكرية فقد تمكن من صون ملكه والمحافظة على عرشه وحفظ نفوذه على القبائل ولاسيما قبائل الحدود بتأليفه مجلساً خاصاً بامور تلك القبائل يشهده مندوبوها ويشتركون مع الحكام في فض مشاكلها

ولا يخفى ان سياسة افغانستان الخارجية قائمة على منع روسيا من الايغال جنوباً من انارة بخارى الى حيث تتطرق الى افغانستان . وقد نفذ حبيب الله هذه السياسة باتفاق ابرم بين بريطانيا العظمى وروسيا في سنة ١٩٠٧ وخلاصتهُ ان بريطانيا العظمى لا تقدم على تغيير شيء في حالة افغانستان السياسية ولا تتعرض لادارة امورها الداخلية ولا تقتطع شيئاً من املاكها ولا تستعين بنفوذها فيها على تهديد روسيا وان روسيا تعترف بان افغانستان خارجة عن دائرة نفوذها

على ان حبيب الله نشأ في مدرسة والده العسكرية وكان يعلم ان المعاهدات السياسية لا تدوم الى الابد ولهذا واصل تعزيز جيشهِ وتسليحهُ بواسطة حكومة الهند التي كانت تمدهُ بالسلاح والذخيرة حتى انهُ لما فتكت الانفلونزا اخيراً برجال هذا الجيش عمد في الحال الى زيادة المجندين فرد فرق الجيش الى سابق عهدها من القوة . ولم يخرج من بلاده بعد جلوسهِ على سرير الملك الاَّ الى الهند فقد زارها في يناير ١٩٠٧ وكان حاكمها العام اللورد منتو فاستقبل بمجالي التكريم والاحترام

وحافظ على ولائهِ لبريطانيا العظمى في الحرب الحاضرة فلما ارسل اليهِ الالمان والعثمانيون جماعة من دعاتهم ليوغروا صدرهُ على البريطانيين ويزينوا لهُ الاغارة على الهند ونقض المعاهدات امر بالقبض على اولئك الدعاة فقبض على بعضهم ولا يزال الاحياء منهم مسجونين في كابول وفر البعض الآخر هائماً في البراري والقفار فقتلهُ رجال القبائل طمعاً فيما كان معهُ من السلاح والمال

وبين رجال الانكليز الذين يعرفهم المصريون والذين اشتغلوا بسياسة افغانستان السر هنري مكماهون الذي كان نائباً للملك في هذا القطر فقد عين حكماً بين افغانستان وايران سنة ١٩٠٥ في خلاف بينهما على نهر الهلمند

واكبر مدن افغانستان كابول عاصمتها وسكانها نحو ٢٠٠ الف . ومن مدنها قندهار وسكانها ٤٠ الفاً وهرات الشهيرة بطانسها وسكانها ٧٠ الفاً . وحكومة الهند تدفع الى الامير ١٨٥٠٠٠٠ روبية اعانة بمقتضى معاهدة ١٨٩٣ المبرمة مع عبد الرحمن

وفي الجيش الافغاني نحو ٦٠ الف مقاتل منهم ١٦ الفاً من الفرسان وعنده ٤٥٠ مدفعاً ولكن قوة افغانستان الحقيقية هي في كثرة وعورها وصعوبة السير في جبالها وقفارها وعدم وجود الطرق وبراعة اهلها في الحرب غير النظامية وكثرة ما عندهم من البنادق والذخيرة مما كان يأتيهم بطريق خليج فارس

وللامير حبيب الله خمسة ابناء وهم عناية الله وحياة الله وامان الله وكبير الله واسد الله واكبرهم في الحادية والثلاثين من عمره . ويلقب امير افغانستان بصاحب الجلالة وهو لقب الملوك وقد كان قبل الحرب الحاضرة الملك الوحيد المستقل في قارة آسيا ما عدا امبراطور اليابان

ونشرت جريدة الديلي تلغراف مقالة عن الامير المقتول ضمنتها حديثاً للسر هملتن غرنت ناظر الخارجية في حكومة الهند وهو يعرف الامير معرفة شخصية وقد زار كابول عاصمة افغانستان مع الوفد البريطاني الذي ارسل اليها في عام ١٩٠٤ — ١٩٠٥ واقام فيها ستة اشهر ولما زار الامير الهند سنة ١٩٠٦ عين السر هملتن غرنت لاستقباله في پشاور وهذا ما قالهُ لمندوب الديلي تلغراف :

كان الامير حبيب الله على جانب عظيم من الرزانة والوقار ولكنهُ كان لطيف المعشر رقيق القلب وكان متعلماً مهذباً عظيم الاطلاع واسع العلم ولاسيما في العلوم الطبيعية والتاريخ وكان يقضي ساعات يتكلم عن اختراع جديد او اكتشاف حديث فيرى السامع منهُ من الاهتمام وسعة العلم والبراعة ما يدهشهُ وكان شديد العناية بالآثار القديمة في بلادهِ . ومما اذكرهُ من هذا القبيل انهُ ارسل الى الهند من مدة قريبة ديناراً عثروا عليهِ قرب كابول تعذر عليهِ معرفة الدولة التي ضربتهُ فكلفني ان اجد من يفحصهُ فعهدت الى بعض الخبراء في هذه المهمة فكتبوا تقريراً وافياً في الموضوع فارسلتهُ اليهِ ومعهُ كتاب طبع حديثاً عن نقود افغانستان وهو محلى بالرسوم ليستعين بهِ في مباحثهِ فاتتني منهُ رسالة منذ ايام يشكرني بها كثيراً عن الكتاب ويثني عليَّ لاني فكرت في ارسال هديتي اليهِ

وكان شديد البأس قوي الشكيمة حينما تقتضي الحالة ذلك على انهُ كان يستنكف من العقوبات المتناهية في الشدة فلا يأمر بها الا عند ما تقضي بها اقصى الضرورة . نعم انهُ كان كثيراً ما يترك ادارة الامور لسواهُ وخصوصاً اخاهُ نصر الله

ولكنهُ كان على الدوام واقفاً على حقيقة الحال في بلادهِ وكان القول الفصل لهُ في جميع الشؤون الكبيرة وقد ظهر هذا في سياستهِ بعد ما دخلت تركيا الحرب

وبعد ما وصف السر هملتن غيرت ولاء الامير لبريطانيا العظمى والحلفاء في الحرب قال ان سياستهُ مع حكومة الهند كانت ثابتة دائماً على قاعدة الصراحة التامة فكان يطلعها على ما يهمهُ ويستشيرها في كل ما يخصُّ القبائل النازلة على حدود الهند الشمالية الغربية ثم قال ان الذين يعرفون الامير يحزنون لقتلهِ فقد كان شهماً كريماً صادقاً شديد الوفاء لاصدقائهِ ورعاً بارعاً في السياسة وسابقاً للشعب الذي ولاهُ القدر حكمهُ وكان يحب شعبهُ حباً جمًّا وقد كان حبهُ هذا الباعث لهُ على صون بلادهِ من ويلات الحرب

ومما رواهُ السر هملتن عنهُ انهُ لما ذهب الوفد الذي تقدمت الاشارة اليهِ الى كابول كانت مهمتهُ ابرام معاهدة عنهُ والبحث في امور اخرى تهم الهند وافغانستان فدعا الامير اعضاء الوفد الى القصر المعروف بقصر الفلك لامضاء عقد المعاهدة وكانت مكتوبة على رق في نسختين فعرضت عليهِ ليمضيها وتقدم احد رجال حاشيتهِ ليساعدهُ فاراق نقط حبر على احدى النسختين واسرع الموجودون بالطباشير وورق النشاف لازالة اللطخة ولكنها ظلت ظاهرة فابتسم الامير وقال « ان الذي يهمنا هو محتويات المعاهدة لا منظر العقد فانما هذه اللطخة شاهد على وجه المعاهدة »

وقبل عودة الوفد الى الهند حدث امر يدل على لطف الامير وشدة عنايتهِ بالذين يجتمع بهم فقد دعانا الى مأدبة فخمة اديت في قصر اخيهِ الامير نصر الله وكان الامير حبيب الله لابساً ثوباً افرنجياً من رداء السهرة وصدرية مفتوحة وتبين لنا ان هذا هو الثوب الرسمي الشائع في حفلات الليل وبعد العشاء التفت الى ضيوفهِ وقال « لنصعد الآن الى الدور الاول وندخن وارجو ان ترتفع كل كلفة بيننا فاني اروم ان اكون صديقاً بين اصدقاء »

ومما يدل على حبهِ للفكاهة انهُ لما ودعهُ اعضاء الوفد اعطى كلاً منهم صورتهُ الفوتوغرافية ممضاة بامضائهِ وهدايا صغيرة لطيفة وكان فيما اهداهُ لاحدهم قلم رصاص من الذهب المرصع وقال لهُ رأيتك تكتب كثيراً في اثناء المفاوضات بقلم قبيح المنظر فارجو ان تستعمل هذا القلم بدلاً من ذاك »